دراسات فی العلوم الإنسانية
٢٨(١)،الربيع ١٤٤٢/١٤٠٠/٢٠٢١، صص٢٣-٣٥
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة
DOR: 20.1001.1.23834269.1442.28.1.2.4

قراءات في مفهوم العمارة الإسلامية في العصر الحديث على ضوء آراء المؤرخين والمستشرقين

سميه اميدواري *

أستاذة مساعدة وعضو لجنة التدريس في جامعة العلم و الفن، يزد

تاريخ الوصول: ١٤٤١/٠٦/١٤ تاريخ القبول: ١٤٤١/١١/٠٣

الملخّص

يُعد فنّ العمارة الإسلامية منذ زمن طويل ضمن الأجزاء الهامة للعمارة في تأريخ العمارة العالمي، ورغم كثرة البحوث والدراسات في هذا الصدد إلا أنّ التساؤل حول ماهية العمارة الإسلامية لايزال مطروحاً ويحتاج إلى إجابات. فما هي العمارة الإسلامية؟ وما هي المصطلحات الخاصة بهذه الأنواع من العمارات؟ وما هي رؤية المستشرقين تجاه العمارة الإسلامية وكيف وظّفوا التعابير والمصطلحات الخاصّة في وصفها؟ يعود تأريخ الاهتمام بالفنّ والعمارة الإسلامية في العالم إلى نحو نصف قرن من الزمن، ويمكن أن نقرن هذا الاهتمام ببدايات العناية الّتي نلحظها عند الغرب بالنسبة إلى دراسة الشرق؛ فعندما بدأ الغربيون باستكشاف الشرق ومحاولة فهمه ومعرفته ظهر مصطلح "العمارة الإسلامية". إنّ المستشرقين والمنظرين الغربيين قد استخدموا تعابير مختلفة جداً في تعريفهم للعمارة الإسلامية. إنّ دراسة وجهات النظر المختلفة في مجال العمارة الإسلامية تبيّن لنا بأنّ جميع المفسرين والمنظرين لم يكونوا في مكانة واحدة من حيث استيعابهم لهذا المفهوم وعلمهم بالنسبة إلى مفهوم العمارة الإسلامية، فقد كانوا مختلفين في تناولهم لمفهوم العمارة الإسلامية. إنّ الإقرار بوجود اتجاهين: التاريخي والمعرفي فيما يتعلق بقضية العمارة يكشف لنا هذا الاختلاف في الفهم والإدراك للمفهوم والدلالة. في كل من هذين الاتجاهين يتمّ دراسة موضوع العمارة الإسلامية شكلاً ومعنىً. إنّ الاتجاه التأريخي يتطرق في المقام الأول للشكل ويحاول أن يقدّم تفسيرات تركّز على الإطار الشكلي والصورة للعمارة الإسلامية، لكن في المقابل نجد أنّ الاتجاه المعرفي (الحكمي) يعرّف الفن والعمارة الإسلامية على أساس أنها صورة تجسد الفكر والرؤى الإسلامية الغنية، بحيث يصبح هذا الفن لغة تنطق عن المعنى عبر الصور والأشكال التي يتم رسمها وإنشاءها. استندنا في هذا البحث على المنهج التفسيري – التأريخي في تحليل البيانات بينما اعتمدنا كذلك على المنهج الوثائقي لجمع المعلومات والبيانات اللازمة في سبيل إعادة قراءة مفهوم العمارة الإسلامية على ضوء آراء المؤرخين والمستشرقين لكي نستطيع أن نستجلي رؤية هؤلاء الباحثين الغربيين تجاه هذا الفنّ الإسلامي ونقدم في الأخير تفسيراً واضحاً وشفافاً من العمارة الإسلامية بناءً على قراءات الغربيين وفهمهم.

الكلمات الرئيسة: العمارة الإسلامية، الاتجاه التأريخي، الاتجاه الحكمي، الظاهر والباطن.

---

* الكاتب المسؤول: E-mail: s.omidvari@sau.ac.ir

١. المقدّمة

منذ عقود من الزمن تمّ الاعتراف بـ "العمارة الإسلامية" كجزء هام من فن العمران في تأريخ العمارة العالمي (ايماني، ٢٠٠٥م: ٧٤)، وتعود بدايات الاهتمام بتاريخ الفن والعمارة الإسلامية بشكل علمي ونظري إلى قرن ونصف من الزمن. كما أنّ أول استخدام لمصطلح "العمارة الإسلامية" يمكن أن نجده في بدايات الحركة الاستشراقية. قام الباحثون بالكتابة والتدوين حول هذه القضية من وجهات نظر مختلفة وبينوا العلاقة بين العمارة وبين الإسلام. يعتقد هؤلاء الباحثون أنّ المجتمعات الشرقية –بعد أن قدم إليها الفتحُ الإسلامي– تأثرت العمارة فيها بشكل ملحوظ بالثقافة الإسلامية والعربية. لكن دراسة الآراء ووجهات النظر المختلفة للمؤرخين حول العلاقة بين العمارة والإسلام تكشف عن وجود غموض وتضاد يستحق التأمل والدراسة. (ايماني، ٢٠٠٥م: ٧٤) هؤلاء المؤرخون حاولوا معرفة الأبنية والآثار التأريخية على أساس الزمان والمكان الذي شيدت فيه، وبعد معرفة أعمال الحضارات الكبيرة في الشرق مالوا نحو الآثار التأريخية المتأخرة لاسيما الآثار التي ظهرت بعد مجيء الإسلام وظهوره. ونظراً إلى أنّ هذه العمارة تتم دراستها في الغالب من قِبل باحثين ودارسين خارج نطاق هذا المناخ الثقافي لهذه المناطق والمجتمعات، نجد أنّ فهم هؤلاء الباحثين والمؤرخين واستيعابهم بالنسبة إلى مفهوم العمارة، خلق تعابير ومصطلحات خاصة ومختلفة.

لكن الحرمان من الوصول إلى مصادر هامة حول العمارة الإسلامية وأحياناً الغفلة عن مصادر أخرى حال بيننا وبين تقديم تفسير جامع وتام حول مفهوم العمارة الإسلامية للمخاطب المسلم في البلاد الإسلامية. إنّ المسلمين الذين كانوا – حتى عقود سابقة من الزمن– يقومون بخلق أعمال وآثار تتناسب مع ظروف حياتهم وبيئاتهم، وجدوا أنفسهم أمام تعابير ومصطلحات مختلفة حول العمارة المتعلقة بهم وذلك يعود إلى التعابير الخاطئة والتفاسير المغلوطة وبالتالي لم يستطيعوا أن يحصلوا على صورة واضحة ومكانة دقيقة للعمارة في بلادهم ومكان سكناهم.

على هذا الأساس فإنّ البحث الراهن يسعى من جانب إلى تقديم قراءة جديدة لآثار العمارة الإسلامية، ومن جانب آخر يحاول تحليل مصادر العمارة الإسلامية وأن يجيب على التساؤل القائم حول ماهية "العمارة الإسلامية"، وإنّ استخدام هذا المصطلح في تأريخ العمارة يستهدف أيّ العلاقات بين العمارة الإسلامية؟ وكذلك لنعرف أنواع القراءات من العمارة الإسلامية في العصر الحديث؟ وأيضاً ما هي التعابير المختلفة من العمارة الإسلامية في هذا العصر؟ وما هي العلاقة الّتي تجمع بين الشكل والمعنى في الأعمال والآثار المتعلقة بالعمارة الإسلامية؟ ولكي نجيب على هذه الأسئلة يجب علينا أولاً أن نتوقف عند كيفية ظهور مصطلح "العمارة الإسلامية" ونحاول فهم ماهيّة النسبة القائمة بين "الإسلام" و"العمارة" وبعد ذلك نحاول تبيين وجهات نظر المستشرقين حيال العمارة الإسلامية والتعابير المستخدمة في هذا المجال. إنّ فرضية هذا البحث تنصّ على أنّ المستشرقين والمؤرخين في العصر الحديث لم يكونوا أصحاب رؤى ووجهات نظر واحدة حيال العمارة الإسلامية وإنّ العمارة الإسلامية لديهم يتم التعبير عنها بمصطلحات وتعابير مختلفة. ويبدو أنّ –وبناء على هذا الاختلاف في التعابير– العمارة الإسلامية لديهم ذات مراتب مختلفة من الصورة والمعنى، فبعضهم يركز على الجانب الشكلي للعمارة

الإسلامية فيما يهتم البعض الآخر بالمعنى ودلالاته.

٢. ماهية العمارة الإسلامية

يطلق اليوم مصطلح "الفنّ الإسلامي" أو "العمارة الإسلامية" على أعمال وآثار مختلفة. ويستخدم مصطلح "العمارة الإسلامية" بشكل متكرر في مجال العمارة في العصر الراهن، وعلى هذا الأساس فإنّ معرفة هذا المصطلح وبيان ماهيته وحقيقته له أهمية بالغة في عالم العمارة المعاصرة. منذ توجه المستشرقون نحو العالم الإسلامي تمّ انتشار العديد من الكتب والبحوث من أجل التعريف بآثار العمارة والفنّ في بلدان العالم الإسلامي بحيث يمكن القول إنّ ٩٠٪ من الكتب المصنفة حول "العمارة الإسلامية" أو "الفن الإسلامي" هي كتب تمت ترجمتها من اللغة الإنجليزية أو الفرنسية.

وما نتوصل إليه من هذه الدراسات والكتب في هذا المجال هو أنّ مصطلح "العمارة الإسلامية" من المصطلحات الحديثة الظهور فقد تمّ التعريف به في الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي وذلك بعد توجّه المستشرقين نحو العالم الإسلامي وأعماله التأريخية من أجل معرفة العمارة وحضارة هذه البلاد (نفس المصدر،٧٦). نجد في كتابات المؤرخين في أوائل القرن العشرين أنّه لم تُستخدم صفة "الإسلامية" في جميع الأعمال والمؤلفات حول الآثار المتعلقة بالعالم الإسلامي، وفي الغالب يتم استخدام مصطلحات مثل "عمارة المسلمين"، أو "الفن المحمدي"، أو "الفن المقدس"، أو "فن العرب" و... وإنّ نظرة فاحصة لهذه الآثار والأعمال تُظهر بأنّ لنا صفة "الإسلامية" بدأ استخدامها في العقد السبعينيات من القرن الماضي (١٩٧٠م) (نفس المصدر، ٧٤-٧٥). لهذا تمّ استخدام تعابير ومصطلحات مختلفة في التعاريف المقدمة حول العمارة الإسلامية.

العمارة المقدسة: بناء على هذا الاتجاه، تعدّ العمارة الإسلامية نوعاً خاصاً من العمارة التي يتمّ تشييدها وفق التعاليم القرآنية والروايات الإسلامية. إنّ البنية الأساسية لهذا النوع من التفكير هو الاعتقاد بكمال القرآن وكذلك الإيمان بأنّ الإنسان يمكنه أن يحصل على كافة حاجاته من خلال القرآن. وعلى هذ الأساس فإنّ هذا المفهوم يمثّل لنا كمال القرآن وضرورة ربطه بكافة شؤون الحياة وهو العامل في ظهور هذا النوع من التأويلات والتفسيرات تجاه العمارة الإسلامية ومفهومها (مهدوى نجاد، ٢٠٠١م: ٢٥).

عمارة العالم الإسلامي: في هذا الاتجاه تعرف العمارة الإسلامية على أساس أنها العمارة التي تنتمي إلى المجتمعات والبلاد الإسلامية. في هذا الاتجاه لا يعدّ الإسلام بحدّ ذاته ذا فن أو اتجاه فني خاص، وبالتّالي إنّ ما تمّ بناؤه في البلدان الإسلامية حتى نهايات القرن العشرين يحظى بأهمية كبيرة (نفس المصدر: ٢٦). وعلى ضوء ما رآه الكتّاب والباحثين في هذا النوع من التوجه؛ فإنّ العمارة الإسلامية قد أفل نجمها بعد أفول الدول الإسلامية الكبرى كالصفويين والعثمانيين.

العمارة العربية: هي العمارة التي تستوحي في بناءها، الخلفيات العربية المتعلّقة بما قبل الإسلام وفي الصدر الأول منه، أو هو ذلك الفن والعمارة التي تعتمد في كيانها على اللغة العربية كوسيط للقرآن الكريم. إنّ وجود اللغة العربية كأداة إعلامية

للوحي أدى إلى أن يعتبرها عدد من المفكرين الإسلاميين بأنها لغة مقدسة أو عنصر أساسي في الفنّ الإسلامي (بوركهارت، ١٩٨٦: ٥١).

أو هناك تعابير أخرى تشير كل منها إلى نوع خاص من العمارة، لكن من بين هذه التعابير المختلفة يبدو أنّ مصطلح "العمارة الإسلامية" يمكن اعتباره مصطلحاً مناسباً مقارنة مع المصطلحات الأخرى.

٣. الاتجاهات المختلفة حول "العمارة الإسلامية"

في دراسة تاريخ العمارة الإسلامية توجد هناك رؤى مختلفة تقدم تعاريف ومفاهيم حول العمارة الإسلامية. وكل باحث أو عالم ينظر إلى الموضوع من وجهة نظره. فالبعض ينظر إلى العمارة الإسلامية من خلال النظرة التوصيفية أو التاريخية، في حين أنّ البعض الآخر يتّخذ نظرية تحليلية وهناك مفكرون آخرون ينظرون إلى الموضوع نظرة فلسفية (معرفة الماهية أو معرفة الظاهرة)، وكذلك هناك مِن الباحثين مَن ينظر نظرة مبدئية تحاول البحث عن الجذور ومعرفة بداية الظاهرة، وأيضاً هناك من ينظر بمنظار تمثيلي تجاه الصورة والمعنى في موضوع العمارة الإسلامية. وقلما كان هناك اتجاه شامل ينظر إلى العمارة الإسلامية من جميع هذه الزوايا (ذوالفقارزاده، ٢٠١٤م: ٣٠). إنّ دراسة المصادر المكتوبة حول العمارة الإسلامية تقودنا إلى الإقرار بوجود اتجاهيين مختلفين حول موضوع العمارة. وكلّ من هذين الاتجاهين قد تشكّلا نتيجة للفهم المختلف للعلاقة بين العمارة وبين الإسلام، فالاتجاه الأول هو اتجاه "تاريخي" فيما يعدّ الاتجاه الثاني اتجاه "حكمي" أو "معرفي".

٣-١. الاتجاه التأريخي (العمارة أصل والإسلامية صفة لها)

منذ القرن الثامن عشر الميلادي بدأ المستشرقون بحوثهم العميقة والمستقلة حول العلاقة بين العمارة والإسلام (غرابار، ٢٠٠٠م : ٧). لكن معظم الدراسات حول هذا الموضوع تستهدف الجانب التأريخي والوظيفي والشكل الظاهري للفن، وبسبب الجهل بالفكرة والرؤى التي تقف وراء هذه العمارة والفن، ركزت الدراسات على الجانب النظري للموضوع أو تطرقت إلى نوع تأثير الإسلام على الشكل ومظهر العمارة (اتينكهاوزن، ٢٠٠٨م: ٣-٤). وبعض هؤلاء المستشرقين أمثال غدار، وآرنولد، وكونل يرون من هذا الفنّ، فنّاً مقتبساً (مددبور، ١٩٩٥م: ٢٤٩). فهم يعتقدون بأنّ الإسلام ذو خلفية ونشأة في جزيرة العرب وأنّ العرب أعرضوا عن الفنّ ولم يهتموا به. لكن بعد الفتوحات الإسلامية وصل العرب إلى مناطق وحضارات ذات خلفية عريقة في مجال الفن والعمارة، واختلط فن هؤلاء الناس وأصحاب الحِرف والصناعات تحت راية الإسلام، رغم أنّ الكثير منهم لم يعتنق الإسلام أصلاً وأصبح يطلق عليه مسمّى العمارة الإسلامية (مطيع وزملاؤه، ٢٠١٣م: ٨٨).

في هذه التعابير حول العمارة الإسلامية، فإنّ العمارة تكون هي الأصل والإسلامية هي الصفة التي تطلق عليها. إنّ المستشرقين في هذا الاتجاه يعتمدون على المسار التأريخي للحكومات الإسلامية وجغرافيا البلاد الإسلامية عند تعريفهم بالأعمال المتعلقة بالعمارة في المراحل التأريخية المختلفة؛ لذا فإنهم يطلقون مسمى "عمارة الدول الإسلامية" على العمارة

الإسلامية من جانب ويعتبرونه متضمناً لكافة الأبنية والآثار التأريخية التي تمّ بناؤها في العصور الإسلامية، ومن جانب آخر يعتبرون العمارة الإسلامية بأنها "عمارة المسلمين" ومن خلال مذهب "صانعي المبنى" يقومون بدراسة ذلك المبنى وهويته. من هذا المنطلق، فإنّ العمارة التي يطلق عليها صفة الإسلامية لا يكون لها –على وجه الضرورة– ارتباط وعلاقة بحقيقة الإسلام وأصله. ونتيجة هذا التفكير هو أننا إذا ما وجدنا مهندس عمارة مسلم لا يكون صاحب مُعتقد عميق تجاه الإسلام فإننا مع ذلك نطلق عليه مسمى "المعمارية إسلامية".

هؤلاء الكتاب في الغالب لا يملكون معرفة واسعة بالمناخ الفكري والثقافي والديني لهذه الأعمال والآثار التأريخية وهم لا يزالون يعيشون تلك الأجواء والمناخات التي كانت تسود في عصر النهضة وما بعدها. إنّ اهتمام هؤلاء الكتاب والمؤرخين بالعمارة الإسلامية ينصبّ في المقام الأول على الجانب الشكلي والظاهر من العمارة الإسلامية، ولهذا قلما رأينا اهتماماً بالمعنى في دراساتهم حول العمارة الإسلامية. إنّ جهود هؤلاء الباحثين تركز حول إعادة التعريف بالعمارة الإسلامية في المراحل التأريخية المختلفة والتغييرات التي تحدث في خصائص هذه العمارة من حيث الأطر ونوعية الزخرفة والعلاقات المجاورة و.... .

٣–٢. الاتجاه الحكمي أو المعرفي (الإسلام هو الأصل والعمارة جزء منه)

هناك مؤرخون ومستشرقون آخرون أمثال بوكهارت وكومارسوآمي، وكوربن، واسترلين و.. يرون أنّ الفن والعمارة الإسلامية، فنّ غير مقتبس بل ظهر هذا الفنّ متأثراً من المفاهيم والتعاليم الإسلامية (معماريان، ٢٠٠٥م: ٤٢٧). وبعض هؤلاء المستشرقين أمثال كوربن وبوكهارت يرون في العمارة الإسلامية عالماً مليئاً بالرموز والدلالات (مدديور، ١٩٩٥م: ٢٤٧). لكن البعض الآخر اكتفى بتأليف كتب ذات طبيعة إرشادية قلما تناولت قضايا معمقة أو قدمت آراء وتفاسير ثقافية واسعة. علاوة على المستشرقين فإنّ الباحثين المسلمين أيضاً اعتمدوا الاتجاه الثاني (الاتجاه الحكمي – المعرفي) وألفوا كتباً في هذا الخصوص. وتطرق الباحث "سيد حسن نصر" في كتبه مثل "علاقة الفن والروح الإسلامية"، و"المعرفة والأمر القدسي" أو بحوثه ومقالاته حول الفنّ الإسلامي من منظار الدين والفلسفة والتأريخ (مطيع وزملاؤه، ٢٠١٣م: ٨٨).

من وجهة نظر الباحثين الذين اعتمدوا على الاتجاه الحكمي فإنّ الفن والعمارة الإسلامية هي حقيقة أوسع وأشمل من الزمان والمكان، وهم يعتقدون أنّه لا يمكن الوصول إلى حقيقة الفنّ الإسلامي فقط من خلال دراسة ومعرفة السير التأريخي للفنّ والعمارة الإسلامية وآثارها في الحدود الزمنية والمكانية المعروفة. فالفنّ الإسلامي هو حقيقة أوسع من التأريخ وقد ظهرت في حقب وتأريخ معين، وعلى هذا الأساس وبغية التعرّف على كنه هذا الفن وحقيقة يجب دراسة الوجوه الحقيقة المتجاوز للأطر والحدود التأريخية؛ لأن هذه الوجوه في الأصل لا تنتمي إلى زمان ومكان خاص، بل إنّ معرفة هذه الوجوه خارجة عن معرفة المسار التأريخي وسياق حدوثها (داداشي، ٢٠٠٤م: ٤). في هذا الاتجاه يتم إعطاء الأصالة للإسلام عند الحديث عن علاقة الإسلام بالعمارة، ويصنفون العمارة كجزء من الإسلام. إنّ المنظرين التقليديين الذين تجاوزا الجانب الشكلي في تعريفهما العمارة الإسلامية وغاصا في جانب المعنى، فإنّهما يصنفان ضمن هذا الاتجاه.

من وجهة نظر هؤلاء المنظرين فإنّ العمارة الإسلامية لا ينبغي بالضرورة أن تتضمن هذه الخصائص الشكلية والإطارية بل إنّ وجود الروح الإسلامية فيها وأن تكون قد تمت علي يد معماري مسلم هو الشرط الوحيد لاعتبارها عمارة إسلامية. وهم يعتقدون بأنّ العمارة الإسلامية يجب أن تكون من عمل معماري مسلم ومادام الفكر الإسلامي هذا جاء من شخص وإنسان مسلم فإنّ كل نوع من العمارة تصدر من هذا الباب فهي تعد ضمن العمارة الإسلامية.

وبناء على رأي هؤلاء المنظرين فإنّ العمارة الإسلامية هي صورة رمزية لحقيقة أكبر. في الواقع إنّ «الدين الإسلامي يتجلّى في كافة مجالات الإنسان المسلم، وفي هذا الدين لا يوجد شيء لم يتأثر بالجانب القدسي للإسلام، وهذا يعني أنّ لا فرق في الحياة بين القدسي وغير القدسي، فقط هناك سلسلة مراتب من الوجود وهي لها جذور في التوحيد الإلهي. وهذا التوحيد كامن في كل شيء ويمكن ملاحظته بشكل جلي في الفنون الإسلامية والتي لا تميز بين الفنون الظريفة والصناعات التوظيفية» (خالد عزام، ٢٠٠١م: ١٦٦). إنّ المعماري المسلم –ومن خلال إسلامه أي خضوعه التام للمشيئة الإلهية– يؤمن بأنّ الله هو المعماري الأكبر. وعلى هذا الأساس فإنّ العلاقة بين المعماري وبين ما حوله هي علاقة تقوم على التعظيم والإجلال وليس التكبر (نفس المصدر: ١٦٨). في الواقع فإنّ الإنسان الذي ينشأ في هذه البيئة يكون صاحب رؤية خاصة تجاه الكون، ويكون عمله المعماري نابع من هذه الرؤية والاتجاه.

الجدول رقم (١): تفاسير الاتجاهين حول العمارة الإسلامية

الاتجاهات	الباحثون المشهورون	الأتباع	نوعية التركيب	نوع الرؤية	المجال
الاتجاه التأريخي	اتينكهاوزن شيلابر جاناتان كرسول	التاريخيون	*العمارة + الإسلام* التركيب الوصفي العمارة هي الأصل والإسلام صفة مضافة عليها	المظهر والصورة	العمارة
الاتجاه الحكمي	بوركهارت كنون كربن سيد حسين نصر	المنظرون	العمارة+ الإسلام التركيب الإضافي الإسلام هو الأصل والعمارة هي اسم مضافة إليه	المعنى	العمارة

٤. تحليل التعابير والمصطلحات المستخدمة من قبل الاتجاهين حول العمارة الإسلامية

إنّ التعابير التي ذكرها المستشرقون حول العمارة الإسلامية تدل على فهم مختلف لهؤلاء الباحثين حول العمارة الإسلامية.

ففي كل اتجاه نجد أنّ التعابير تأتي انطلاقاً من الخلفية الذهنية للكتاب والباحثين المنتمين لهذين الاتجاهين، فبعضها تهتمّ بالعمق وبعضها تفتقر لهذا النوع من العمق والفلسفة في تحليل وتعريف العمارة الإسلامية. ونجد أنّ بعض التعابير تنظر إلى الجانب الشكلي للمبنى في حين أنّنا نجد تعابير أخرى تنطلق من رؤية عميقة تستهدف المعنى، وسنقوم بتحليل كلّ من هذين الاتجاهين.

٤.١. أهمية الصورة والظاهر في الاتجاه التأريخي حول العمارة الإسلامية

يقول بوركهارت عن تعابير علماء الآثار والتأريخيين: إنّ علم الآثار وتأريخ الفنّ كلاهما يعتمدان على التحليل التأريخي للآثار الفنية. إنّ هذا النوع من التحليل يمكن له أن يصل إلى نتائج ملموسة، لكنه لا يأخذنا بالضرورة إلى فهم ذات الأشياء وحقيقتها، بل العكس من ذلك، حيث إنّ هذا النوع من التحليل قد يتوقف بنا على الهوامش والفروع وبذلك نغفل عن التطرق إلى الجوانب الشاملة والكليات العامة، فهو يشبه من يرمي جداراً بصرخة لكي يعرف الحقيقة الوجودية لهذا الجدار من خلال معرفة منشأ الصخور التي بنت هذا الجدار. إنّ هذا الاتجاه هو الاتجاه الذي سلكه العديد من الباحثين والعلماء. وقد حاولوا معرفة منشأ الفن الإسلامي من خلال معرفة الجذور المشكلة والمكونة له في الفن البيزنطي والفن الساساني والقبطي وما شابهها. فهم لم يدركوا الوحدة الذاتية للفن الإسلامي الأصيل ونسوا بأنّ الإسلام يترك بصماته الخاصة على جميع العناصر التي يستعيرها من الآخرين (بوركهارت، ٢٠٠٢م: ٢٣).

في الاتجاه التأريخي يتم دراسة العمارة الإسلامية من منظار الصورة المعمارية والجانب الشكلي والأطر التي أُنشأت فيها الأبنية في البلاد الإسلامية. هؤلاء الباحثون والمؤرخون بشكل عام ينطلقون من وجهتي نظر مختلفتين ويدرسون السير التأريخي للعصور الإسلامية من مصاديق مختلفة، أو أنهم يركزون على مصاديق خاصة ويقومون على هذا الأساس بتفسير وشرح هذه المصاديق في المراحل التأريخية المختلفة. على سبيل المثال يقومون بدراسة التحولات التأريخية لمعرفة التغييرات التي تطرأ على العناصر الشكلية وما يحيط بالبناء المعماري وكذلك التحولات في جانب زخرفة العمارة الإسلامية من خلال دراسة العصور والمراحل التأريخية الإسلامية كعصر السلاجقة والتتار والصفوية وغيرها من العصور التأريخية. ويمكن أن نجد هذه الرؤية والاتجاه في أعمال كرسول وشيلابر واتيكهاوزن وغيرهم.

٤.٢. أهمية المعنى والباطن على ضوء آراء الحكميين (الحكماء والمنظرين)

«الإسلام» في المفهوم القرآني يعني التسليم والخضوع التام أمام أوامر الله ونواهيه. وتأتي الأوامر للناس من جانب الرسل الذين يرسلهم الله إلى الناس. وإذن استناداً إلى الآيات المتعلقة برسالة نبي الإسلام (ص) فإنّ أهم لوازم التسليم هو الاعتقاد والإيمان برسالة النبي (ص) (نجفي محمدي، ٢٠١٢م: ٩٧). ومن وجهة نظر الحكميين عند بيان العمارة الإسلامية فإنه يجب أن يتمّ التسليم لأوامر الله؛ لأن الإسلام يعني التسليم والخضوع أمام الحق والتسليم بأمر الله لا يتم إلا من خلال الاتصال بمنبع ذلك الوحي والانضمام إليه. فالتسليم هو نوع من الخضوع والتبعية أمام الحقيقة وهو أمر له مراتب ودرجات مختلفة، في كل مرتبة تجد الخضوع موجوداً في أحد جوانب شخصية الفرد (ملكي، ٢٠١٠م، ٧٤-٧٥). في هذا الكمّ من

التعاريف نجد تعاريف بعض المنظرين وقد تجاوزت الجانب الشكلي في تعريفها للعمارة الإسلامية وغاصت في المعنى ودلالاته. من وجهة نظر هؤلاء الباحثين والمنظرين فإنّ العمارة الإسلامية لا تعني بالضرورة أن يكون الجانب الشكلي متضمّناً للخصائص والصفات الإسلامية بل إنّ الجانب الفكري ووجود المعماري المسلم في كينونة العمارة هو الشرط اللازم لاعتبار تلك العمارة عمارة إسلامية. وهم يعتقدون بأنّ العمارة الإسلامية يجب أن تكون من عمل معماري مسلم. في الحقيقة، إنّ الشخص الذي يكبر ويترعرع في هذه البيئة الإسلامية يكون صاحب رؤية ونظرة خاصة تجاه الكون وإنّ عمله الفني يكون متضمناً لهذه الرؤية والاتجاه.

إنّ العمارة الإسلامية هي عمارة يتم بناؤها على يد إنسان مسلم ومؤمن أدرك جوهر المعرفة الدينية في وجوده. إنّ المعماري هو سالك طريق استطاع من خلال النمو الروحي وكسب الفضائل الأخلاقية أن يجعل أدوات نمو الفيض الإلهي ممكناً في هذا الشكل من العالم المادي. ومن خلال كسب المعرفة الحقيقية من الكون وصل إلى رتبة الذوبان في الله، وهو بذلك يعيد صياغة الحكمة الإلهية في وجوده. إنّ شرط العمارة الإسلامية من وجهة نظر الحكميين يرتبط بنسبة اعتقاد المعماري المسلم وإيمانه؛ لذا فإنّ ما يجدر التفكير به هو الغوص في المعنى.

٥. التحليل

بكل تأكيد لا يمكن اعتبار الاتجاهين في موضوع العمارة الإسلامية بأنهما وجهان لعملة واحدة بل إننا في هذا المجال نجد اتجاهات مختلفة لكل منها فهمٌ خاص حيال الصورة والمعنى في موضوع العمارة الإسلامية. إنّ الاتجاه التأريخي يغوص في جانب الشكل والصورة في مناقشته لموضوع الفنّ والعمارة الإسلامية. وإنّ الدراسات حول مصاديق الشكل والصورة المعمارية تعني أنّ كل ما يشمل الجانب الشكلي والصورة للعمارة الإسلامية لا يعدّ –بالضرورة– جزءاً جوهرياً من العمارة الإسلامية بل إنه أصبح جزءاً من العمارة الإسلامية بمرور الوقت والزمان؛ لهذا يمكن القول بأنّ العمارة الإسلامية في بداية ظهور الإسلام لم تكن ذات خصائص مميزة بل إنّ المفاهيم والمعتقدات الإسلامية هي التي دخلت على العمارة ومظهرها بشكل تدريجي وتحولت العمارة بعد ذلك إلى شكل خاص من الفنّ يتضمن المفاهيم والأفكار والمعتقدات الإسلامية.

من الناحية الحكمية أو المعرفية واستناداً إلى التعريف المقدم للعمارة الإسلامية والإسلام فإنّ الإسلام بالمعنى العام يعني التسليم والخضوع أمام الحق وأمام كافة قوانين النظام الكوني الذي فرضه الله سبحانه وتعالى (التسليم أمام نظام الكون)، وعلى هذا الأساس فقد يوجد معماري مسيحي أو يهودي أو غيرهما لكنه مستسلم أمام قوانين الكون ونظم الحياة أكثر من الشخص المسلم نفسه. إنّ على المعماري المسلم أن ينمي بداخله المعرفة الحقيقة تجاه الدين ويكون مستسلماً لأمر الله تعالى. ومن خلال اتصال المسلمين بذلك المصدر السرمدي، يصبح كل ما يخلقه المسلم تجلياً لتلك الحقيقة الأبدية. والمسلم الذي يبلغ هذه المكانة يصبح كل إنتاجه ذات وحدة داخلية وذلك يعود إلى الأفكار والرؤى المشتركة. ومن هذا الاتجاه يكون الشيء الهام في عملية خلق العمارة الإسلامية هو نوعية نظرة الإنسان المسلم أو المسلم المؤمن تجاه حقيقة

الإسلام وجوهره. إنّ إدراك وفهم لغة عالم الكون يعني فهم حقيقة الوجود وكشف رموز هذا العالم والكون بأسره. في الحقيقة وبناء على الاتجاه الحكمي أو المعرفي، فإنّ المعماري المسلم من خلال غوصه في معاني عالم الكون يكون قادراً على كشف ورفع السواتر من رموز العالم. وهذا الإنسان يجب عليه أن يكشف الحقيقة المدركة تجاه الكون في فنه وعمارته وعندئذٍ يمكن القول بأنّ ذلك الشخص قد قام برسالته الحقيقة وهي إظهار الحقائق في ذاته.

٦. النتائج

إنّ وجود جانبي الصورة والمعنى وعلاقة كلّ منهما في الآخر في المجالات الفنية والرموز المتعددة كان مختلفاً من موضوع لآخر. فالفنان أو المعماري ينطلق من خلفيته الثقافية ورؤيته للكون والحياة في تجسيد هذه المعاني الموجودة بداخله في فنه وإبداعه. والشكل والمظهر يتغير حسب مقتضى الحال والبيئة التي تحيط به، والصورة هي في الواقع طريق للوصول إلى المعنى، ويمكن استكشاف الصورة وقراءة رموزها لكي يتم التوصل إلى المعاني والدلالات الكامنة فيها. إنّ من نتائج هذه الدراسة هي أنّ قرّاء الأعمال والآثار المعمارية لن يحصلوا على فهم وصورة واحدة خلال متابعتهم واستجلاءهم للأعمال الفنية والعمارة. فنوعية تفسير وتحليل القراء من الآثار والأعمال المعمارية ترتبط بمستوى فهمهم وإدراكهم. ونظراً إلى أن العمارة مثلها مثل سائر الفنون تتصف بناحيتين الشكل والمعنى أو الظاهر والباطن، نجد في هذا الخصوص كذلك بعض المؤرخين والباحثين الذين ركزوا اهتماماتهم على الجانب الشكلي وتطرقوا إلى التفاصيل الدقيقة للمظهر والأطر والزخرفة الموجودة في العمارة الإسلامية. وفي المقابل نجد مؤرخين آخرين قد اهتموا بالمعنى والمفاهيم الكامنة في العمارة الإسلامية ورأوا أن ما يهم في هذا الخصوص هو معتقد المعماري المسلم وفكره؛ لأنهم يعتقدون بحقيقة الإسلام ويؤمنون بأن المعماري المسلم يحمل هذه الرسالة الصادقة، وبدل أن يهتموا ويبحثوا عن التحولات الشكلية في العمارة، فإنّهم يؤمنون بالحقيقة الموجودة في ذات المعماريين ووجودهم، وعلى هذا الأساس فإنّ رؤيتهم تجاه العمارة الإسلامية تكون مستهدفة بشكل كامل إلى جانب المعنى. ومع ذلك فهناك بعض المستشرقين الذين اهتموا بالمفاهيم وغالب هؤلاء المستشرقين هم من المعماريين، وإذن فإنّ المستشرقين والمؤرخين في الحقبة المعاصرة كانوا منقسمين في تحليلهم عن العمارة الإسلامية إلى قسمين الأول مهتم بجانب الشكل والصورة والثاني مهتم بجانب المعنى والمفهوم.

المصادروالمراجع

١. ایمانی، نادیه (٢٠٠٨م). ***معماری اسلامی در نگاه معاصر***، مجلة آبادی، العدد ٤٨، صص ٨٥-٧٦.

٢. .....، (٢٠٠٥م). ***آیا معماری اسلامی می شود؟***، المنتدى الأول والثاني للتبادل المعرفي في مجال العمارة، متحف حمام علي قلي آقا، صص ٧٦-٨٦.

٣. بوركهارت، ابراهيم (١٩٨٦م). ***هنر اسلامی، زبان و بیان***، ترجمة: مسعود رجب نيا، طهران: نشر سروش.

٤.....، (٢٠٠٢م). ***سهم هنرهاي زيبا در تعليم مسلمانان***، ترجمة: سيد علاء الدين طباطبائي، فصلية فرهنگستان هنر، مجله خيال العدد ٣، صص ٣٣-٢٢.

٥.داداشي، ايرج (٢٠٠٤م). ***جستجوي مباني فراتاريخي هنر اسلامي(٢)***، فصلية فرهنگستان هنر، خيال، العدد ١١، صص١٤-٤.

٦.غرابار، اولك (٢٠٠٠م). ***شكل گيري هنر اسلامي***، ترجمة: مهرداد وحدتي دانشمند، ط١ ، طهران: پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي.

٧.مددبور، محمد (١٩٩٥م). ***تجليات حكمت در هنر اسلامي***، ط١، طهران: اميركبير.

٨.معماريان، غلامحسين (٢٠٠٥م). ***سيري در مباني نظري معماري***، ط٢، طهران: سروش دانش.

٩.مطيع، مهدي، منصوريان، مريم، سعدوندي، مهدي (٢٠١٣م). ***بازنمود مفاهيم و ساختار ادبي قرآن در معماري اسلامي***، فصلية مطالعات تطبيقي هنر المحكمة، السنة الثالثة، العدد ٦، صص٩٨-٨٧.

١٠.ملكی، حسن، ملكی، ياسر (٢٠١٠م). ***ايمان دينی در انديشه شهيد مطهری***، مجلة پژوهش و انديشه، صص٨٧-٧١.

١١.مهدوی‌نجاد، محمدجواد (٢٠٠١م). ***هنر اسلامی، در چالش مفاهيم معاصر و افق های جديد***، مجلة هنرهای زيبا، العدد ١٢، صص ٣٢-٢٣.

References

[1] Burkhart, Titus, (1986). *Islamic Art, Language and Description*, Translated by Masoud RajabNia, Tehran: Soroush

[2] ……., (2002). "The Role of Fine Arts in the Education of Muslims", translated by Seyyed Alaeddin Tabatabai, The Academy of Arts Quarterly, *Imagination*, No. 3.

[3] Dadashi, Iraj (2004). "Searching for the Transhistorical Foundations of Islamic Art (2)", The Academy of Arts Quarterly, *Imagination*, No. 11.

[4] Grabar, Oleg, (2000). *The Formation of Islamic Art*, translated by Mehrdad Vahdati Daneshmand, 1st Edition, Tehran: Institute of Humanities and Cultural Studies.

[5] Imani, Nadieh, (2005). "Islamic Architecture in Contemporary Perspective", Tehran, *Abadi Magazine*, No. 48.

[6] ....., (2005). "Will Architecture Become Islamic?", The First and Second Symposium on Architectural Issues, Ali Gholi Agha Bath Museum.

[7] Madadpour, Mohammad, (1995). *Manifestations of Wisdom in Islamic Art*, 1st Edition, Tehran: Amirkabir.

[8] MahdaviNejad, Mohammad Javad, (200١). "Islamic Art, in the Challenge of Contemporary Concepts and New Horizons", *Journal of Fine Arts*, No. 12.
[9] Maleki, Hassan, Maleki, Yaser, (2010). "Religious Faith in the Thought of Shahid Motahari", *Journal of Research and Thought*.
[10] Matieh, Mehdi, Mansoorian, Maryam, Saadvandi, Mehdi, (2013). "Representation of Concepts and Literary Structure of the Qur'an in Islamic Architecture", *Bi-Quarterly Journal of Comparative Studies of Art*, Year 3, Number 6.
[11] Memarian, GholamHossein, (2005). *A Journey in the Theoretical Foundations of Architecture*, 2nd Edition, Tehran: Soroush Danesh.

Reading the Concept of Islamic Architecture in the Contemporary Era from the Perspective of Historians and Orientalists

Somayeh Omidvari*

Assistant Professor in Science and Arts University, Yazd

Abstract

Islamic architecture has long been recognized as one of the most important part of architecture in the history of world architecture, and despite the statement expressed by many scholars and historians in this field; the question that is always concerned is that, what is Islamic architecture? What are the different interpretations raised regarding this architecture? What was the status of the Orientalists' view on Islamic architecture, and what was the difference in their interpretations? The history of art and Islamic architecture in the world dates back to about half a century, and the origin of "Islamic architecture" can be attributed to the beginning of the Orientalism movement in the West. Orientalists and Western theorists in defining Islamic architecture have expressed many different interpretations. The study of different perspectives in this field shows that not all interpreters and theorists are in the same position and have a different perception associated to the works of Islamic architecture. Considering the two historical (historiographer) and the legal (epistemological) views of this architecture shows the difference in their approach on this issue. In each of these approaches, the order of form and meaning are examined. The historical approach, in terms of form and framework, interprets the Islamic works and what was important for them to be considered has been the change in the form of architecture. However, legal approach, considers art and Islamic architecture as one of the manifestations of Islamic thought that has richness within itself, so that this architecture, as a language that tells the truth, has emerged from the level of meaning to the level of emergence. Using interpretive-historical methods as well as library and documentary information, this article seeks to review the Islamic architecture from the perspective of historians and Orientalists and provide a clear interpretation of Islamic architecture for today's audience.

Keywords: Islamic Architecture; Historical Approach; Legal Approach; Appearance and Conscience.

* Corresponding Author's E-mail : s.omidvari@sau.ac.ir

خوانش مفهوم معماری اسلامی در دوران معاصر از منظر مورخان و مستشرقین

سمیه امیدواری*

استادیار و عضو هیات علمی دانشگاه علم و هنر یزد

چکیده

معماری اسلامی مدتها است که به عنوان یکی از اقسام مهم تاریخ معماری جهان به رسمیت شناخته شده و علیرغم قلم‌فرسایی بسیاری از صاحبنظران و مورخان این حوزه، سوالاتی همچنان قابل پرسش است از جمله: معماری اسلامی چیست؟ چه تعابیر متفاوتی در مورد این معماری مطرح است؟ نگاه مستشرقین به معماری اسلامی واجد چه مراتبی بوده و چه تفاوتی بین تعابیر آنها وجود داشته است؟ قدمت توجه به تاریخ هنر و معماری اسلامی در جهان به حدود نیم قرن پیش بازمی‌گردد و سرچشمه پدید آمدن عنوان «معماری اسلامی» را می توان به آغاز جریان شرق شناسی در غرب نسبت داد. مستشرقان و نظریه‌پردازان غربی در تعریف معماری اسلامی تعابیر بسیار متفاوتی را قائل شده اند. مطالعه دیدگاهای مختلف در حوزه معماری اسلامی بیانگر آن است که همه مفسرین و نظریه پردازان در یک مرتبه و جایگاه قرار نداشته‌اند و فهم و خوانش متفاوتی را نسبت به آثار معماری اسلامی داشته اند. قائل شدن به دو دیدگاه تاریخی (تاریخ نگارانه) و دیدگاه حکمی (معرفت شناسانه) درباره ی این معماری، بیانگر تفاوت رویکرد آنها در فهم این مهم است. در هر یک از این رویکردها ؛ مرتبه صورت و مرتبه معنا مورد مداقه و بررسی قرار گرفته است. رویکرد تاریخی در مرتبه صورت وکالبد به تفسیر آثار اسلامی می پردازد و آنچه برای آنها قابل تامل است، تغییر در صورت و فرم معماری بوده است. اما در رویکرد حکمی؛ هنر و معماری اسلامی را به عنوان یکی از جلوه‌های برآمده از اندیشه و تفکر اسلامی واجد غنای بسیاری در درون خود می داند به طوری که این معماری به عنوان زبان گویای حقیقت از مرتبه معنا به مرتبه صورت، ظهور و تجلی یافته است. این مقاله با استفاده از روش تفسیری- تاریخی و جمع‌آوری اطلاعات کتابخانه‌ای و مستند در پی بازخوانی معماری اسلامی از منظر مورخان و مستشرقان است تا بتواند جایگاه و عمق نگاه را در تعابیر این پژوهشگران غربی مورد مداقه قرار داده و تفسیر شفاف‌تری از معماری اسلامی را برای مخاطبان امروز فراهم آورد.

کلمات کلیدی: معماری اسلامی، رویکرد تاریخی، رویکرد حکمی، ظاهر و باطن

* نویسنده مسئول مقاله: E-mail: s.omidvari@sau.ac.ir